سامي فراشري ودوره في النهضة القومية الألبانية

د. خالد سلمان شدهان
جامعة تكريت / كلية الآداب - قسم التاريخ
Khalidsalman73@yahoo.com

تاريخ التقديم: ٣٢٨ في ٢٠١٧/١٠/٢٤
تاريخ القبول: ٢٩ في ٢٠١٨/١/١٦

الملخص:

تستعرض الدراسة شخصية البانية مهمة ،كان لها دور بارز في نهوض الحركة القومية الالبانية وابرازها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبداية القرن الذي يليه ،وهو المفكر والموسوعيّ الشهير (سامي فراشري)، تلك الشخصية المميزة والمؤثرة في الاوساط الشعبية الالبانية ،التي يدين لها كثيرٌ من الشعب الالباني بالفضل، وذلك بمساهمته باظهار أحقية الشعب الالبانيّ بالحصول على حقوقه بالحرية والاستقلال .

الكلمات المفتاحية: سامي فراشري، النهضة القومية، الألبان.

Sami Frashri and his role in the Albanian national renaissance

Dr.. Khaled Salman Shadan
University of Tikrit / College of Arts - History Department
Khalidsalman73@yahoo.com

Abstract:

In the midst of the rise of nationalist movements in Europe during the second half of the nineteenth century, the Balkan countries, which had been under Ottoman administration for centuries, were not isolated from this constant movement. One of the most important Balkan countries that experienced a rise in national mobility was Albania, although it was a multi- But it was able to unite its forces and voice in all areas and forums, all thanks to the presence of a group of national Albanians who demanded national and national rights all regardless of religion and nationalism, led by Sami Farashri, who contributed with his colleagues in the statement and the consolidation of milk rights for the To achieve full independence.

For these and other reasons, Sami Frashri was the focus of this study, which came under the title (Sami Frashri and his role in the Albanian national renaissance).

Keywords: Sami Frashri, National Referendum, Albanians

المقدمة:

وسط تصاعد الحركات القومية في أوربا أبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، لم تكن بلاد البلقان التي خضعت للإدارة العثمانية لقرون طويلة بمعزل عن ذلك الحراك المستمر ، ومن أهم دول البلقان التي شهدت تصاعداً في حراكها القوميّ هي البانيا ، على الرغم من أنها دولة متعددة القوميات والطوائف ، لكنها استطاعت ان توحد قواها وصوتها في جميع المجالات والمحافل، وكل ذلك كان بفضل وجود نخبة من الوطنيين الألبان الذين طالبوا بالحقوق الوطنية والقومية جميعاً بصرف النظر عن الدين والقومية ، وكان في طليعتهم سامي فراشري الذي أسهم مع زملائه في بيان حقوق الالبان وترسيخها من أجل الوصول الى الاستقلال التام.

لهذه الأسباب وغيرها ، كان سامي فراشري محور هذه الدراسة التي جاءت بعنوان (**سامي فراشري ودوره في النهضة القومية الألبانية**) ، وقد تضمنت عدداً من المحاور ، تناولنا في المحور الأول ولادة سامي فراشري ونشأته، وبواكير عمله في السياسة ، أما المحور الثاني، فجاء تحت عنوان (بدايات السيطرة العثمانية على ألبانيا في عام ١٣٨٥) ، فيما جاء المحور الثالث بعنوان (بدايات ظهور الحركة القومية الألبانية) ، أما المحور الرابع فابرزت فيه دور سامي فراشري في النهضة القومية الألبانية ، وكان المحور الأخير بعنوان (العصبة الألبانية ودور سامي فراشري فيها)، وظفت في الدراسة مجموعة من المصادر العربية والاجنبية التي تناولت تلك الحقبة الحرجة من تاريخ البانيا في العصر الحديث .

ولادته وبواكير عمله السياسي

ولد سامي فراشري في عام ١٨٥٠ في قرية فراشر (Frasher)، في أقصى جنوب ألبانيا[١] ، ثم أنتقلت عائلته الى مدينة يانينا (Janina) ليكمل تعليمه في مدرسة (زوسيميا) (Zausemia) ، تلك المدرسة الشهيرة على مستوى دول البلقان[٢]. وينحدر فراشري من عائلة تمثل الزعامة المحلية المتوارثة ،كونهم من طبقة (البكوات) ، وشهدت حياته حدثين مهمين ساهما في تكوين شخصية فراشري الفكرية والقومية، بدأ ذلك واضحاً وجلياً في معظم كتاباته فيما بعد تلك الحقبة، الأول هو قضاء الدولة العثمانية على الطريقة البكتاشية في عام ١٨٢٦ ، كون قرية فراشر تمثل من أهم مراكز تلك الطريقة في البلاد، ولا سيما أنَّ عائلة فراشري تمثل أهم العوائل التي اعتنقت تلك الطريقة منذ وقت مبكر ،وكان لها الأثر الكبير وسط المجتمع الذي تنتمي إليه ، والحدث الآخر هو قيام الدولة العثمانية بجملة من الاصلاحات بعد عام ١٨٢٦،إذ صدرت مجموعة من اللوائح التنظيمية التي جاءت بخطط جديدة لتقسيم العمل في إدارة الولايات، وأكدت زيادة تأثير المركز ورقابته ليتجه نحو الحكم المطلق، ممّا أتاح الفرصة لظهور تسلسل وظيفي محدود ومسؤوليات معينة بين الاداريين، وانشاء لجان ذات صلاحيات تخولها بمتابعة ومراقبة ومحاسبة الهيئات

التنفيذية المكلفة بانجاز بالاعمال الادارية ، والتي كان الغاية منها تعزيز الحكم المركزي بشكل مباشر ،وإزالة مظاهر الفساد التي انتجها الحكم الاستبدادي للباشوات وحاشيتهم، فضلا عن القضاء على الزعامات المحلية في معظم الولايات العثمانية ، وبطبيعة الحال أسرة فراشري في مقدمتها[٣] ، ألقت تلك الاحداث ضلالها على فكر فراشري، وعلى كتاباته، إذ نقل صورة إيجابية عن وضع الألبان قبل ظهور تلك الاصلاحات في منطقة البلقان.[٤]

بتطبيق تلك الاصلاحات التي كانت الادارة العثمانية من خلالها تهدف منها إلى تعزيز حكومتها المركزية، واستعادة سلطة الإمبراطورية، التي كانت ضعيفة بشدة ، بسبب التخلف الاقتصاديّ والاجتماعيّ، من النظام الاستغلاليّ ومن الانتفاضات المستمرة للشعوب، بدأت الإصلاحات في ألبانيا بنحوٍ فعلي منذ بداية ثلاثينيات القرن التاسع عشر،إذ تم إزاحة العديد من الرؤساء الإقطاعيين الذين بدأوا الانتفاضات والثورات ، ونفي آخرون، والبعض في حين تمكن البعض من الهروب خارج البلاد . وأعلنت جميع ممتلكاتهم مملوكة للدولة، وكان من ضمن الشخصيات التي صدر أمر بنقلهم، فراشري إلى اسطنبول عام ١٨٧١ نتيجة موقفه المؤيد والفاعل في النهضة القومية الألبانية ، وانضم في اسطنبول الى ((جمعية اسطنبول))[٥] التي كان لها دور كبير في ابراز القضية الألبانية، كونها تضم شخصيات معروفة على مستوى أغلب الولايات العثمانية، مثل حسن تحسين[٦] ، وكان إتقان فراشري لأكثر من لغة، مثل الفرنسية والايطالية واليونانية، فضلاً عن لغته الأثر الكبير في إغناء الجمعية، وايصال صوتها ومطالبها إلى الدول الأوربية.[٧]

ألف فراشري كثيراً من الكتب والمؤلفات التي كان أغلبها باللغة العثمانية ، وتنوعت كتبه بين اللغة والأدب والقواميس وبعضها في الترجمة ، والغريب أنه لم يكتب في لغته الأم، وربما يعود ذلك إلى الظروف التي كان يعمل فيها في اسطنبول خلال اقامته الطويلة هناك إلى أن توفي في عام ١٩٠٤.[٨]

بدايات السيطرة العثمانية على ألبانيا عام ١٣٨٥

استطاع الملك الصربيّ دوشان نيمانيتش (D. Njamanic) الذي تولى حكم صربيا في عام ١٣٤٨ ، أن يجعل منها قلباً لامبراطورية كبرى ، إذ أعلن نفسه امبراطوراً على بلاد الصرب والبلغار واليونان والألبان ، ولكنه لم يستمر طويلاً، إذ مات في عام ١٣٥٥ ، وتصدعت تلك الامبراطورية ، ودخلت في حالة من الانقسام والحروب الداخلية.[٩]

في ظلَّ تلك الظروف توغلت الدولة العثمانية في شبه جزيرة البلقان التي كانت ألبانيا جزءاً منها، على الرغم من ذلك لم تظهر ككيان سياسي يوحدهم في غرب البلقان ، وإنما ظهر تنافس

عدة امارات لملئ ذلك الفراغ، والسيطرة عليه ، وظهر أسم ألبانيا لأول مرة في المنطقة الساحلية التي خضعت لسيطرة البندقية تحت أسم ألبانيا الفينيسية (Venetian Albania).[١٠]

باحتدام ذلك الصراع بين الامارات في البلقان سارع الأمير كارل ثوبيا (Karl Thopia) الذي كان يحكم أجزاء من ألبانيا الوسطى الى دعوة القوات العثمانية المتمركزة حينها في مقدونيا المجاورة لها لمساعدته من أجل اخضاع ألبانيا الشمالية ، وليتخذ من أشقودرا (Ashcoura) الحيوية عاصمة له ، واستجابت القوات العثمانية لطلبه ، واستطاع أن ينتصر في معركة فيوسا (Vjosa) في عام ١٣٨٥ ويبسط سيطرته على ألبانيا بنحوٍ كامل ، وتمثل هذه المعركة بداية وجود الدولة العثمانية في ألبانيا، وأعلن أمير ثوبيا ولاءه للعثمانيين، ودفع الخراج السنويّ لها وشارك في جميع حروب الدولة العثمانية .[١١]

بدايات ظهور الحركة القومية الألبانية

أنتعشت المدن الألبانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر، نتيجة تطور التجارة، ونمو الطرق والسكك الحديدية ، وقد أدى هذا الى ظهور الطبقة البرجوازية في البلاد ، التي بفعل ذلك التطور أصبح لها اتصال مع العالم لوجود جاليات ألبانية كثيرة في ايطاليا وبلغاريا واليونان ورومانيا ، والتي شكلت وساعدت على بناء الأساس الفكريّ للنهضة القومية الألبانية، والتي كان من مظاهرها اصدار عددا من الكتب باللغة الالبانية، والدعوة الى تعليم الجيل الجديد للغتهم الام ، وكذلك ظهور كثير من القصائد التي تتغنى بالقومية الالبانية ، وأقامة المنتديات والجمعيات من أجل ابراز ذلك .[١٢]

تمثلت الحركة القومية الألبانية بطابعها الثقافيّ منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر ، من حيث التأكيد على تعلم اللغة والتراث الالباني ، مثل محاولات انشاء المدرسة الوطنية الألبانية والتعليم باللغة الألبانية ، وكانت اللغة الألبانية قد تدهورت عبر العصور السابقة واندثرت ألفاظها الأصلية، وحلت محلها كلمات ومصطلحات أجنبية ، ولم تعد سوى لغة حوار بين الناس في البيوت والأسواق دون أن تظهر في أدب مكتوب ، وبالمقابل سمح وجود الاسلام في ألبانيا لسيادة اللغة العربية على اللغات الأخرى الأكثر قرباً من اللغة الألبانية كاليونانية والايطالية.[١٣]

يمثل عام ١٨٤٤ بداية النهضة القومية الألبانية ، إذ ظهر أول كتاب لمؤلف مجهول[١٤] لتعليم اللغة الألبانية بالأبجدية الجديدة التي وضعها ، ومن حينها أخذ التواصل بين المثقفين الألبان ليشمل الجالية الألبانية في ايطاليا التي أخذت تنشر وتذكر بعمق التاريخ الألباني، وتراثه الغني من أجل تعزيز العلاقات بين الألبان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، وأشهر هؤلاء الكتاب هو زف يوباني (Zif Jubani)[١٥] ، الذي كانت أغلب مؤلفاته تدور حول الدم الألباني الواحد واللغة المشتركة والعادات والطموحات والآمال المشتركة.[١٦] ولعدم تبلور فكرة الاستقلال بنحوٍ واضح ،

وذلك لقناعة الكثير منهم بان استقلال البانيا في تلك الحقبة يدخلها في دائرة التنافس الاوربي بحكم اهمية منطقة البلقان للكثير من القوى ، لذلك دعا بعض الكتاب الأوائل الى امكانية تشكيل اتحاد بين ألبانيا واليونان على غرار الاتحاد بين النمسا والمجر .[١٧]

انشغل الرواد الأوائل للنهضة القومية الألبانية إلى تحديد العلاقة بين الدين والقومية ، ولاسيما مكانة الدين في مختلف المناطق الألبانية ، ورأى جلهم أنَّ التعصب الديني خطر كبير على البلاد ، وتحديداً في وحدتهم القومية ، وهذه الهواجس لم تأتِ من فراغ، كون ألبانيا بلد يتميز بتنوعه الدينيّ والمذهبيّ ، وذلك بوجود الدين الاسلامي أو الدين المسيحي بمذهبيه الكاثوليكي والارثوذكسي ، لذلك جاءت كتابات الأوائل كرسائل تطمين للجميع للعيش المشترك على وفق الأواصر الكثيرة التي تجمع المكونات التي تعيش على الأراضي الألبانية.[١٨]

كلُّ تلك التطورات مهدت إلى تشكيل ما يعرف بالرابطة الألبانية في عام ١٨٧٨ ، بعد هزيمة الدولة العثمانية أمام الروس في العام نفسه ، واضطرار الدولة العثمانية الى توقيع معاهدة سان استيفانو[١٩] ، التي كان من نتائجها اجتياح الصرب للمناطق التي يعيش فيها الألبان، وتحديداً في ولاية ((قوصوه)) ، والتي رافق ذلك الاجتياح أعمال القتل والترويع وتهجير الأهالي ،وأثارت المعاهدة القلق العميق بين الألبان ، ودفعت أهلها وقادتها إلى الاستعداد والتعبئة من اجل الدفاع عن الأراضي التي يسكنونها، ففي ربيع عام ١٨٧٨، قام مجموعة من الالبان المقيمين في اسطنبول، وكان من بينهم سامي فراشري ، بتشكيل تنظيم سري من أجل التصدي والوقوف بوجه مقررات معاهدة سان استيفانو التي يرونها مجحفة بحق الشعب والدولة الالبانية[٢٠] ،وتحت تلك الظروف اندفع المثقفون والكتابّ الألبان ، وفي مختلف المناطق الى ضرورة قيام عمل يحمي المناطق الألبانية من الانقسام، وربما ضياع الهوية الألبانية فيما لو تشتت الألبان في دول مختلفة لا تربطهم أي رابط معها ، وعمد المثقفون المنفيون في اسطنبول الى تأسيس ((جمعية اسطنبول)) ، وأخذوا على عاتقهم نشر مؤلفات أبرزت القضية الألبانية ، والتذكير بالتراث الألباني وأهميتها الاستراتيجية، ومطامع الدول الأوربية فيها ، ولاسيما أنَّ الدعوات لانعقاد مؤتمر برلين في حزيران عام ١٨٧٨ قد بدأت، فكان من الضرورة لفت انتباه القوى المجتمعة بالقضية الألبانية[٢١] ، ورافق ذلك ارسال مذكرة بأسم الشعب الألبانيّ الى السفارة البريطانية في اسطنبول ، بينوا فيها الخصوصية الألبانية كقومية، لها جذورها، وتراثها، وأصالتها ، حالها حال الشعوب السلافية التي سوف تطرح على طاولة المفاوضات ، حتى أن تلك الرسالة انتهت الى جملة ذات ابعاد كبيرة عندما قالوا بها ((**إن الألبان حريصون على أن يدخلوا ضمن العائلة الأوربية الكبيرة كونهم جزءاً منها**))[٢٢] ، وفي الوقت نفسه دعت جمعية اسطنبول الى تشكيل رابطة قومية ألبانية تضع في

أولوياتها بعدم اعطاء أي أرض ألبانية إلى الدول المجاورة ، وفعلاً تأسست تلك الرابطة ،وشكلت الأجهزة التابعة لها **(المجلس العام واللجنة المركزية)**.[٢٣]

عقد المجلس العام دورته الأولى في ١ تموز ١٨٧٨ ، وأقر قانونه الجديد ، الذي تضمن في نصه بأنَّ الرابطة الألبانية ستكافح في سبيل حقوق القومية الألبانية ، وحقها في انشاء فروع في جميع المناطق الألبانية ، وكذلك أعلنت التعبئة العسكرية لكلَّ القادرين على حمل السلاح، وفي جمع الضرائب ،وانشاء المحاكم، وأصبحت أشبه بالحكومة المحلية للبلاد.[٢٤]

دور سامي فراشري في النهضة القومية الألبانية

خلال وجود فراشري في اسطنبول ، بدأ يعمل في مجال الصحافة والترجمة ، ولاسيما ترجمة المقالات من اللغة الفرنسية إلى العثمانية ، لابراز دور التنوير والأفكار التي سادت فرنسا وأوربا في تلك الحقبة ليتمكن الشباب العثماني من الاطلاع عليها ، وشهدت اسطنبول في أثناء وجود فراشري فيها اعلان أول دستور عثماني عام ١٨٧٦ وانشاء أول برلمان في تاريخ الدولة ، ولكنه أصيب بخيبة أمل بعد تعليق العمل بالدستور وحل البرلمان[٢٥]، وكرس فراشري وقته أثناء وجوده في اسطنبول لقضية بلده ألبانيا ، فكان على اتصال وثيق بالوطنيين الألبانيين في العاصمة العثمانية ، وأسس عام ١٨٧٩ **(الجمعية الألفبائية الألبانية)** وكذلك **(رابطة نشر المؤلفات الألبانية)** التي تبنت الحرف اللاتيني كأساس للغة الألبانية ، وكانت هذه الرابطة تمثل الجناح الثقافي للعصبة الألبانية ، وكانت ذا توجهات وطنية ألبانية ، إذ ضمت في عضويتها ١٠ من المسلمين و ١٤ من الأرثوذكس و ٤ من الكاثوليك[٢٦] ، وجاء في مقدمة نظامها الداخلي : ((.. **إن كل الأمم المتنورة ارتقت من خلال لغتها الأم .. وإنَّ كلُّ أمة لا تكتب بتلك اللغة فهي أمة جاهلة وبربرية** ..))[٢٧]

كان فراشري فضلاً عن اهتمامه بالعمل الصحفي ، بارعا في العمل الروائيّ الذي وظفه في خدمة القومية الألبانية ، وكانت أشهر مسرحياته التي كتبها هي مسرحية **(عهد الوفاء)** والتي صدرت في عام ١٨٧٥ ، والتي أبرز فيها تاريخ وتراث بلده ألبانيا ، وكان يرى أنَّ من حق كل شعب في الدولة العثمانية أن يحافظ على لغته القومية، وأن يعتمدها في التعليم والأدب والنشر[٢٨]، وكذلك انتقد فراشري في عام ١٨٧٦ الدولة العثمانية عندما أصدرت جريدة رسمية في ألبانيا باللغتين العثمانية والايطالية بدلاً أن تصدر بالعثمانية والألبانية ، بل إنه ذهب أبعد من ذلك عندما أنتقد اللغة العثمانية ووصفها باللغة المركبة (تركية وعربية وفارسية).

من الواضح أنَّ فراشري أعطى أولوية وأهمية كبيرة للغة ومثلها بالعمود الفقريّ لانشاء كيان قوميّ ، حتى أنه في عام ١٨٨٦ أصدر كتابه الشهير **(اللغة)** ، ثم تبعه كتاب **(قواعد وقواميس)** للتعريف باللغة الألبانية[٢٩] ، أراد أن يوصل رسالة، بأنَّ الشعوب تتوحد بلغتها ووجوب وضع أبجدية واحدة للغة الألبانية واعتمادها في النشر والتعليم.

أقترح فراشري على جمعية أسطنبول أبجدية جديدة ، ووافقت عليها الجمعية ، مّما جعلها تشتهر بين الألبان بأسم **(أبجدية أسطنبول)** ، وصدر في عام ١٨٧٩ كتاب دوري بأسم (اللغة الألبانية) اسهم في كتابته فراشري ، ومن أبرز ما كتبه فراشري في هذا الكتاب هو مقدمته ، وما قال فيها في تعريفه للشعب **(... إن البشر على الأرض ينقسمون الى شعوب ، والشعب هو كل جماعة من الناس تعيش في أرض محددة وتتكلم لغة واحدة ولها عادات مشتركة ، وأن هذه الشعوب تستمر بفضل اللغة ، وكل شعب تضيع لغته يصبح منسياً)**[٣٠]

أهتم فراشري منذ البداية على ضرورة وضع كتاب يتناول بالتفصيل تعلم اللغة الألبانية ، التي كانت السلطات العثمانية تفرض احكام قاسية اذا ثبت التكلم او الترويج لها ، في حين انها كانت تبيح استخدام اللغة الايطالية عوضا عنها ، لذلك عكف على تأليف كتاب بعنوان **(تعليم اللغة الألبانية)** عام ١٨٨٦ بأسلوب عصريّ، ووظّف معرفته باللغات الأوربية الأخرى في تأليفه ، وطبع في بوخارست ، لوجود جالية ألبانية قومية كبيرة ، وكذلك صدر في العام نفسه له كتاب **(قواعد اللغة الألبانية)** ، وإذا أردنا أن نصف دور سامي فراشري في نهوض القومية الألبانية ، فيمكن أن نستنتج أن جميع هذه المؤلفات كانت مقدمات لوضع كتابه الشهير (ألبانيا الماضي والحاضر والمستقبل – آراء عن انقاذ الوطن من الأخطار التي تحدق فيه) الذي طبع في عام ١٨٩٩ والذي استعرض فيه تاريخ الألبان منذ أقدم العصور الى حقبة الحكم العثماني ، وكذلك بين الحدود الجغرافية لألبانيا ،مع ابراز القومية الألبانية، كونها تعيش وسط قوميات متعددة وقريبة منها مثل الصرب واليونانيين، وغيرهم ، وتناول خطر تلك القوميات على الوجود الألباني ومستقبلهم ، كونها لا تعترف بقومية الألبان واتفاقها على تقسيم مناطقهم من أجل توسيع حدود كل منها.[٣١]

كانت فكرة سامي فراشري تتلخص بضرورة قيام كيان ألباني مستقل عن الدولة العثمانية ، وظهر ذلك جلياً عندما نعى الدولة العثمانية في كتاباته ووضع تصور عن شكل الدولة الألبانية المستقلة وهيكلية المؤسسات الدستورية في البلاد ، ووجوب استقلالها ،وفصل الدين عن التعليم وعن السياسة ، كونه يرى أنُّ البلاد ليس من دين واحد، وإنما مكون من أديان ومذاهب متعددة فيجب عدم اقحام الدين في المؤسسات الرسمية للدولة.[٣٢]

أراد سامي فراشري من هذه الهيكلية أن يؤسس لدولة مستقلة تستطيع أن تبقى بعد انهيار الدولة العثمانية ، الذي توقع انهيارها في أية لحظة، وعلى الألبان أن يستعدوا لذلك ، ونجاة وضياع ألبانيا هو بيد الألبان أنفسهم ، وكان يرى أن الهدف الوحيد للألبان هو الحفاظ على ألبانيا من التقسيم، والحفاظ على لغتهم وقوميتهم ،وكان دائماً يردد **(لا وجود لألبانيا من دون ألبان ولا وجود للألبان من دون لغة ألبانية ولا وجود للغة الألبانية من دون مدارس)**[٣٣]

وقف فراشري وبقوة ضد الأصوات التي كانت تدعو إلى تقسيم ألبانيا لثلاث دول فيدرالية، على أسس دينية ومذهبية (اسلامية وأرثوذكسية وكاثوليكية) ، وكان يردد في أغلب المحافل والمؤتمرات بأنُّ ألبانيا لا يمكن تقسيمها تبعاً للدين ، وأنُّ جميع طوائفها لا تعيش في عزلة بعضها عن بعض ، بل إنها تعيش في اندماج ، ودعا الألبان الى ترك هذه الدعوات ونبذها، والعيش في هذا البلد كأخوة على أساس انتمائهم القوميّ ، وضرورة انشاء جمهورية ذات نظام برلمانيّ يجمع ما بين الحداثة الغربية والتقاليد الألبانية.[٣٤]

العصبة الألبانية ودور سامي فراشري فيها:

بعد اكتساح الروس للجبهات العثمانية في أواخر عام ١٨٧٧ ، ودخول الصرب والجبل الأسود واليونان على خط المواجهة ضد الدولة العثمانية بهدف تحقيق مكاسب اقليمية على حساب الأراضي الألبانية ، وتسارعت الأحداث العسكرية والسياسية التي كانت أغلبها ضد المصالح الألبانية ووحدة أراضيها ، ففي آذار من عام ١٨٧٨ وقعت الدولة العثمانية مع روسيا معاهدة سان ستيفانو، التي قطعت من ألبانيا أراض ،ومنحت الى بلاد الصرب والجبل الأسود ودولة بلغاريا التي أقامتها روسيا بموجب تلك المعاهدة.[٣٥]

على أثر ذلك تحركت القيادات الوطنية الألبانية في شمال البلاد وجنوبها للتصدي لهذه المعاهدة ، وعقدوا اجتماعاً موسعاً في مسجد برياق (Barjak) وتحديداً في ٢٣ تموز عام ١٨٧٨ ، حضرته ٣٠٠ شخصية ألبانية مثلت كلّ أنحاء البلاد[٣٦] ، وكان من ضمنهم سامي فراشري الذي عاد الى ألبانيا بعد تطور تلك الأحداث ، ونتج عن هذا الاجتماع تأسيس (اللجنة المركزية للدفاع عن حقوق الأمة الألبانية) ، التي أصدرت في ٣٠ من تموز بياناً شددت فيه على الحقوق القومية الألبانية وسط المحيط السلافيّ.[٣٧]

بتطور الأحداث عقد اجتماع أخر في بيرزن، وتحديداً في ١٠ حزيران من عام ١٨٧٨ لمناقشة بنود معاهدة سان ستيفانو ، وضم ٨٠ مندوباً من جميع الولايات الألبانية ، معظمهم من الزعماء الدينيين المسلمين ، وزعماء العشائر، وغيرهم من اصحاب النفوذ من أربع ولايات عثمانية ألبانية. وأعلن المندوبون تشكيل عصبة بيرزن ، وتم تعيين فراشري رئيسا لفرعها الجنوبي ،ووضعت الجامعة بإشراف لجنة مركزية لديها سلطة فرض الضرائب وتعبئة وتهيئة الجيش. وعملت عصبة بيرزن على كسب الاستقلال الذاتي للألبان وإحباط تنفيذ معاهدة سان ستيفانو، ولكن ليس لإنشاء ألبانيا مستقلة، وكذلك ضمنت العصبة مطاليبها بضرورة جعل اللغة الألبانية اللغة الرسمية في الأراضي التي يسكنها الألبان وتأسيس المدارس الألبانية، وألقى فراشري كلمة حلل فيها الوضع السياسي الراهن، ودعا المندوبين إلى تشكيل جبهة مشتركة تقف ضد تجزئة البلاد ، وتقرر أن تكون سكودرا[٣٨] ، مركز العصبة الرئيس وحدد سامي فراشري الأسباب التي أوصلت الألبان لاتخاذ

هذه الخطوة بمقالة طويلة كتبها ،كان أبرز ما جاء فيها (.. **إن عصبة بيرزن طالبت مراراً خلال السنوات الثلاث الماضية بتوحيد ألبانيا في ولاية واحدة تتمتع بالاستقلال الذاتي ولكن الدولة العثمانية خدعتهم بالوعود ولقد فهم الألبانيون تماماً إلا أن الدولة العثمانية لا تريد أن تفعل لهم شيئاً .. ورأت عصبة بيرزن ضرورة توحيد ألبانيا بشكل مستقل ذاتياً وربما الاستقلال التام).**[٣٩]

وفي بيان تأسيس العصبة الذي ساهم فراشري في صياغته ، جرى تأكيد الاتجاهات القومية التي كان أبرزها أفساح المجال أمام كلّ ألباني للانضمام إليها ، بصرف النظر عن انتماءاته الدينية أو المذهبية، والثانية تأكيد وجود وطن (ألبانيا) يضم كلّ الألبانيين، والثالثة السعي للحصول على الاستقلال الذاتي[٤٠] ، وكتبت العصبة مذكرة الى سلطان الباب العالي بعد معاهدة سان ستيفانو ،حددت طبيعة العلاقات المستقبلية معها التي تضمنت ، توحيد الولايات الألبانية في ولاية واحدة ، وتكون إدارتها من الموظفين الألبان ، واستخدام اللغة الألبانية في التعليم والقضاء، وكذلك ضرورة أن تكون الخدمة العسكرية للجنود الألبان في داخل بلادهم ،واستعمال عائدات ألبانيا المالية داخل البلاد.[٤٠]

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج:

١- قدم سامي فراشري رؤية مبكرة لما وصلت اليه الدولة العثمانية ، ونتيجة لذلك سعى إلى توجيه اهتمام الألبان، والتركيز في الحفاظ على هويتهم ومصالحهم ضمن دائرة صراع أوربي مستمر.

٢- كان استقلال ألبانيا عن الدولة العثمانية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ ، التي شملت أرضها منطقة، تحيط بها مختلف الجيوش والدول التي أرادت الحفاظ على مناطق نفوذها إلى أن استقلت ألبانيا بعد عام وتحديداً في ١٣ تموز ١٩١٣ كأمارة محايدة تحت رقابة الدول الكبرى ، وهذا ما كان أن يتم لولا شعور الشعب الألباني بقوميته واعتزازه بها بفعل الكتابات والخطب التي كان لسامي فراشري وزملائه في تأجيج الرأي العام الألباني وايمانهم بقضيتهم.

٣- بسبب الاجراءات العثمانية في رقابة المطبوعات داخل الولايات التابعة لها نمت في المهجر حركة أدبية – ثقافية وطنية ألبانية ، أخذت على عاتقها اصدار المؤلفات حول ألبانيا، ولغتها ،وتراثها الشعبي ، وحول مستقبل البلاد ، أبرزت فيها الروح الوطنية والقومية.

٤- كان سامي فراشري من الأوائل الذين تصدوا للقضية الألبانية ، حتى أنه حمل لقب (منظر الحركة القومية الألبانية) ، للكم الكبير من المقالات التي أكدت على هذه المسألة ومنذ وقت مبكر.

٥- كان من نتائج الاصلاحات العثمانية في عام ١٨٣١ هو الغاء الطريقة البكتاشية في جنوب ألبانيا ، مّما أدى إلى تحول كثير من أتباعها الى المعارضة ، وهذه أدت دوراً كبيراً في

التطورات الفكرية والسياسية والثقافية ، وبحكم أسرة آل فراشري تنتمي الى هذه الطريقة ، وبحكم زعامتها المحلية ، فقد كانت لها دور كبير في ابراز القومية الألبانية، ولاسيما وسط الظروف والأحداث التي شهدتها الساحة الأوربية آنذاك.

٦- جسدت العصبة الألبانية التي كان فراشري جزءاً منها ، تحالف الأقلية البرجوازية الوطنية والأكثرية القبلية – الاقطاعية (أمراء – بكوات – رجال الدين) من مختلف مناطق البلاد في ألبانيا ، حتى أنها سميت في بعض المصادر بـ (أتحاد القبائل الألبانية) ، لذلك ظهر في داخل العصبة تياران ، الأول كانت طموحاته هو الحصول من الدولة العثمانية على اصلاحات تصل الى درجة الاستقلال ، وتيار آخر كان يدرك حاجة ألبانيا الى دعم الدولة العثمانية من الناحية العسكرية والسياسية لمواجهة ما يحيط في البلاد.

الهوامش:

١. ألبانيا : تقع ألبانيا على الساحل الشرقي للبحر الأدرياتيكي ، من البحر الأسود جنوباً حتى خليج أرتا (Arta)، سكنها شعب ينحدر من الشعب الأليري القديم ، تعاقب في السيطرة عليها الامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية ، ومنذ القرن السادس الميلادي تعرضت ألبانيا الى غزوات الشعوب السلافية المجاورة ، ونتيجة للتمازج البشري والديني والمذهبي أنقسم الشعب الألباني الى كاثوليك وأرثوذكس ومسلمون. ينظر: عبد الرؤوف سنو ، النزعات الكيانية الاسلامية في الدولة العثمانية ١٨٧٧ – ١٨٨١ ، بيسان للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٩٨ ، ص١٣٧.

2. Miranda Vickers , The Albanians A modern History , L.B Tauries , New York , 1995 , p.34.

٣. محمد م. الأرناؤوط ، الاسلام في أوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ٢٠٠٧ ، ص٢٤.

٤. جستن مكارثي ، الطرد والابادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١ – ١٩٢٢ ، ترجمة : فريد الغزي ، جمعية أتراك السعودية ، ط٢ ، الرياض ، ١٩٩٦ ، ص١٧٦.

٥. جمعية اسطنبول : تأسست في عام ١٨٧٨ في عاصمة الدولة العثمانية اسطنبول ، وضمت نخبة من المثقفين الألبان من أمثال حسن تحسين وباشكو فاسا فضلاً عن سامي فراشري ، وأدرك هؤلاء أن مصير البلقان بيد القوى الكبرى في أوربا ولاسيما تقرير مصيرها ، فأخذوا على عاتقهم نشر وطبع مؤلفات تعرف بالألبان ، وكذلك دعى هؤلاء الى عقد مؤتمر عاجل للتعريف بالقومية الألبانية. للمزيد ينظر:

6. Miranda , Op. Cit. , p30.

٧. حسن تحسين : ولد في مدينة بيرات في عام ١٨١١ ، كان والده من مريدي الطريقة البكتاشية ، تلقى تعليمه في مدارس مدينته ، أصبح أول رئيس لجامعة أسطنبول في عهد السلطان عبد المجيد الأول وذلك في عام ١٨٤٦ ، بعد أن جمع العلوم الصرفة مع العلوم الدينية ، كان أحد المنادين بقيام دولة ألبانية مستقلة ، وكان أحد مؤسسي جمعية اسطنبول بعد معاهدة سان استيفانو في عام ١٨٧٨ ، توفي عام ١٨٨١. للمزيد ينظر :

8. Elsie , Robert , Historical Dictionary of Albania , Scarecrow Press , Maryland , 2010 , p.111.

٩. محمد م. الارناؤوط ، المصدر السابق ، ص٢٥.

10. Creasy , S. Edward , History of the Ottoman Turks , Beirut , 1961 , p.504.

١١. محمد م. الارناؤوط ، البلقان من الشرق الى الاستشراق ، منتدى العلاقات العربية والدولية ، الدوحة ، ٢٠١٤ ، ص٦٩.

١٢. محمد سهيل طقوش ، العثمانيون من قيام الدولة الى الانقلاب على الخلافة ، دار بيروت المحروسة ، بيروت ، ١٩٩٥ ، ص١٠٤.

١٣. محمد م. الارناؤوط ، البلقان من الشرق الى الاستشراق ، المصدر السابق ، ص٦٩.

١٤. جستن مكارثي ، الطرد والابادة مصير المسلمين العثمانيين ١٨٢١ – ١٩٢٢ ، ترجمة : فريد الغزي ، جمعية أتراك السعودية ، الرياض ، ١٩٩٦ ، ص١٧٨.

15. Marmullaku , Remadan , Albania and the Albanians , London , 1975 , p.77.

16. Jakupi , Ali , Albania States and National Unification , Prishtina, 1997 , p.65.

١٧. زف يوباني : ولد في مدينة شكودرا شمال غربي ألبانيا في عام ١٨١٨ ، درس في مدينته ثم غادر الى مالطا لينهي تعليمه في المدرسة الثانوية التجارية عام ١٨٣٨ ، تعلم اللغات الايطالية والفرنسية والانكليزية ، عاد الى شكودرا في عام ١٨٤١ بعد مقتل والده وبدأ يكتب بشكل سري الافكار التقدمية ويوزعها على رفاقه ، شكل في عام ١٨٦٢ تنظيم الحركة المناهضة للدولة العثمانية ، ويعد أحد أهم رواد الحركة القومية الألبانية ، توفي في عام ١٨٨٠. للمزيد ينظر :

18. Stavianos , L.S, The Balkans Since 1453 , New York , 1958 , p.332

١٩. محمد م. الارناؤوط ، الاسلام في اوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، المصدر السابق ، ص١٧.

20. Jakupi , OP. Cit. , P.67.

21. Quataert , Donald , The Ottoman Empire 1700 – 1922 , Cambridge University Press , New York , 2005 , P.213.

٢٢. معاهدة سان استيفانو : عقدت في ٢ آذار عام ١٨٧٨ ، بين الدولة العثمانية وروسيا والتي نصت بمنح بلاد الصرب والجبل الأسود الاستقلال التام وكذلك استقلال رومانيا وانشاء امارة بلغارية مستقلة حدودها عند بحر أيجة. للمزيد ينظر :

٢٣. علي سلطان ، تاريخ الدولة العثمانية ، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية ، طرابلس ، د.ت ، ص٣٢٨.

٢٤. عقدت معاهدة سان ستيفانو ، في " ٣ مارس لعام ١٨٧٨ " ، و التي فرضت على الحكومة العثمانية كتسوية سلمية من قبل روسيا في ختام الحرب الروسية العثمانية لعام ١٨٧٧–١٨٧٨، والتي نصت على ايجاد وضع جديد للمناطق الأوروبية ،وكان أهم بنودها انشاء الأمارة البلغارية المستقلة ، التي شملت أكثر من مقدونيا وتمتد إلى نهر الدانوب ومن بحر إيجه إلى البحر الأسود ، وتم الاعتراف باستقلال صربيا والجبل الأسود ، ورومانيا ، وتم تحديدها كحدود لصربيا والجبل الأسود بحيث تكون متجاورة ، في حين اضطرت رومانيا للتنازل عن جنوب بسربيا إلى روسيا ، علي أن تكون دوبرجا للبوسنة والهرسك المستقلة حديثا، وتم التنازل عن أجزاء من تركيا لروسيا ، وأعطي السلطان العثماني ضمانات لأمن رعاياه المسيحيين .محمد سهيل طقوش ، المصدر السابق ، ص٤٥١.

25. Jakuypi , Op. Cit. , p.68.

26. Quoted in : Marmullaku , Op. Cit. , p.81.

٢٧. جستن مكارثي ، المصدر السابق ، ص ١٣١.

٢٨. محمد الارناؤوط ، الاسلام في أوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، المصدر السابق ، ص٢٦.

29. Tukupi , Op. Cit., p.69.

30. Gawrych , George , The Crescent and the eagle : Ottoman Rule , Islam and the Albanians 1874 – 1913 , New Jersy , 2006 , p.114.

31. Marmullaku , Op. Cit., p.83.

٣٢. محمد الارناؤوط ، الاسلام في اوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، المصدر السابق ، ص٢٨.

33. Quoted in : Jakupi , Op. Cit., p.68.

34. Logorice , Anton , The Albanians , London , 1977, p.213.

٣٥. محمد م. الارناؤوط ، البلقان من الشرق الى الاستشراق ، المصدر السابق ، ص٧٤.

٣٦. محمد م. الارناؤوط ، الاسلام في اوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، المصدر السابق ، ص٢٨.

37. Gawrych , Op. Cit., p.116.

٣٨. حسين لبيب ، تاريخ المسألة الشرقية ، مطبعة الهلال ، القاهرة ، ١٩٢١ ، ص ص٨١ – ٨٢.

39. Logorice , Op. Cit., p.223.

40. Jukupi , Op. Cit., p.77.

٤١. سكودرا : تقع شمال غرب ألبانيا ، تبلغ مساحتها أكثر من ثلاثة آلاف كيلومتر مربع ، أصبحت في عام ١٨٦٧ سنجقاً تابعاً لولاية روميليا ، ثم دمجت مع سنجق سكوبي لتصبح ولاية (سكودرا) ، تمثل مركزاً ثقافياً واقتصادياً مهماً كونها لها اتصال بالبحر الادرياتيكي الذي يوصلها الى بقية المدن الاوربية ، للمزيد ينظر :

42. Young , Antonia , Albania Clio Press , California , 1997 , p.418.

43. Quoted in : Logorice , Op. Cit.,p. 227.

٤٤. محمد م. الارناؤوط ، الاسلام في اوربا المتغيرة تجربة ألبانيا في القرن العشرين ، مصدر سابق ، ص٣٨.

45. Tukupi , Op. Cit., p.78.